المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

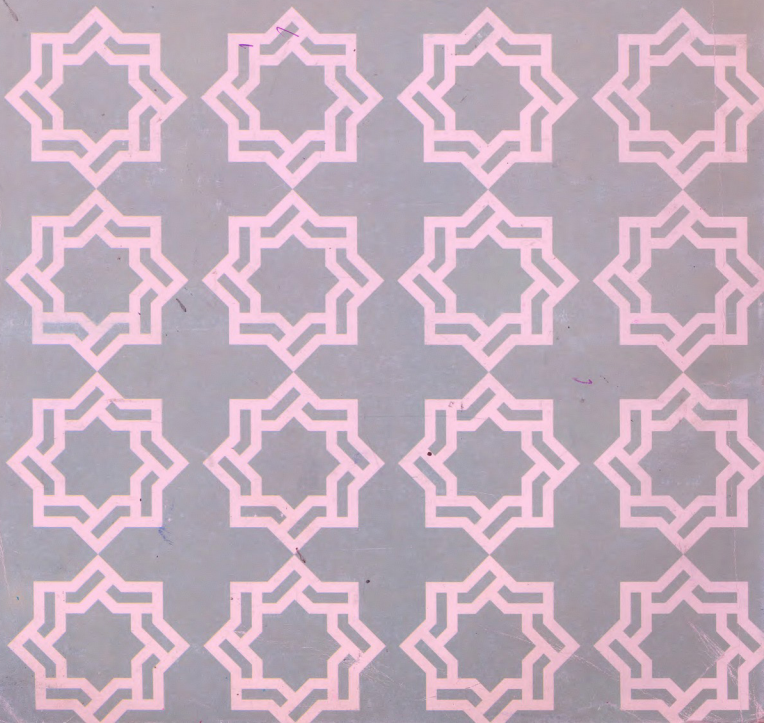

مدخل لدراسة الرُبُط الإسلامية

بقلم

عادل الألوسي

مكتبة المتحف العراقي ـ بغداد

الرباط : جمعه ربط وهو جمع كثرة ، ويجمع على « رباطات »(١) ، والرباط في الاصل مصدر الفعل « رابط » أي غالب غيره في الربط(٢) .

وردت تفاسير مختلفة لهذه اللفظة واشتقاقها من الاصل « ربط » على ان اقرب هذه التفاسير ما اوردته الآية القرآنية : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل »(٣) ، ومنه ايضا اخذت المرابطة : اي ملازمة ثغر العدو ، وجاءت مقترنة بالصبر في آية قرآنية اخرى ، ومنها « المرابط » وهو من الالقاب التي ظهرت كصدى لبعض مظاهر النهضة السنية التي قامت على اكتاف السلاجقة ، ثم تعهدها من بعدهم الاتابكة(٤) .

وقد تطورت الغاية التي من اجلها انشئت الربط ، ففي المشرق اندمج الرباط في الخانقاه المأثورة عن الفرس . ويشير ابن جبير الى خانقاه انشأها الصوفية في راس العين « الى الشمال من صحراء الشام » وكانت تعرف ايضا بأسم الرباط(٥) ، وقد بنى الملك المنصور الموحدي المصمودي في القرن السادس الهجري مدينة كبيرة مما يلي مراكش سماها رباط الفتح ، وقيل ان المصامدة بنوها بأمر ابن تومرت وكان قد اختطها ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن(٦) .

وانتقلت لفظة « رباط » الى اللغة الاسبانية بصيغة « رباتو Rebato » لقيام البعض منها في الاندلس بأعتبارها بلدا من البلدان التي شهدت الجهاد الاسلامي وقد استعملت في ترصيع تخوم البلاد والدفاع عنها كقصر الرباط الذي بناه هرثمة ابن اعين قائد الخليفة هارون الرشيد الذي ولاه على افريقيا وكان بناؤه سنة (١٨٠ هـ / ٧٩٦ م) لرد هجمات النصارى البحرية المتوالية ، فاكتظ منذ البداية بالمرابطين المتطوعين للجهاد حتى ضاق بهم فأمر بتوسيعه(٧) .

وكان البربر يعرفون ايضا كلمة « رابطة » ، والرابطة صومعة يعتزل فيها المتصوف او الزاهد محاطا بأتباعه ومريديه(٨) ولازال اهل المغرب يطلقون عليها اسم الرابطة او دار المرابطين(٩) .

واشيع لفظ الرباط في بغداد منذ العصر العباسي وهو يحمل معنى « البيت الذي يجمع اهل التصوف » وكان هذا اللفظ مستعملا اكثر من غيره في لغة التعامل اليومي بين الناس . ومن اشهر الربط التي انشئت في بغداد : رباط الزوزني(١٠) وهو اقدمها وقد افرد الدكتور مصطفى جواد بحثا نفيسا موسعا عن الربط البغدادية وبيّن اثرها العام في الثقافة الاسلامية(١١) .

---

(١) المصباح المنير ٢٩٣ ، شفاء الغليل ١٠٨ .

(٢) الربط البغدادية ، مجلة سومر (١٠ [١٩٥٤] ٢١٨ ـ ٢٤٩ ، ١١ [١٩٥٥] ١٨٨ ـ ٢٠٦) ، الصحاح ١/٥٥٠ .

(٣) سورة الانفال ، الآية ٦٢ .

(٤) استعمل اللقب مضافا الى ياء النسب « المرابطي » واطلق على كبار الرجال العسكريين في مصر ايام المماليك ، (الالقاب الاسلامية ص ٤٦٦) .

(٥) ابن جبير ص ٢٤٢ (ليدن ١٨٥٢) .

(٦) Provencal : Documents Inedits D'Histoire Almohade P. 120 Paris, 1928

(٧) بين الآثار الاسلامية في تونس ص ٥٦ .

(٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة « زاوية » .

(٩) التشوف لمعرفة رجال التصوف ص ٦٦ ، ٤٢٧ .

(١٠) نسبة الى صاحبه : ابي الحسن علي بن محمود بن ابراهيم الصوفي (ت ٥٤١ هـ / ١٥٠٩ م) .

(١١) الربط البغدادي .

ومما كتب عن الربط كتاب أشار اليه الحاجي خليفة في كشفه(١٢) لابن الساعي البغدادي (ت ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) هو : « أخبار الربط والمدارس »(١٣) .

ثم انتشر استعمال هذه اللفظة ايضا على المستوى الشعبي والادبي ، فدخل باب المثل ، من ذلك ما اورده الميداني : « إن ذهب عَيْرٌ فعيرٌ في الرباط »(١٤) ودخل باب اللقب فقيل : « فلان الرباطي »(١٥) .

ومن الضروري ان نذكر ان ثمة الفاظ اخرى رادفت لفظة « الرباط » وادت نفس المدلول وهي الزاوية ، والخانقاه ، والتكية وتتجه ايضا الى نفس الاتجاه الاجتماعي والديني ، فان معنى الرباط في الشرق يعني « الخانقاه »(١٦) والخانقاه فارسية بمعنى الزاوية(١٧) والزاوية عند الافارقة تعني التكية(١٨) والتكية والرباط عند أهل فارس يسميان خانقاه .

يحمل الرباط الى جانب مدلوله الصوفي مدلولا حربيا ، فحين انتشرت الفتوحات وعم بناء القلاع والاسوار ، حمل الرباط الصفة العسكرية ذات الطابع الدفاعي ، ويقترن بوظائف عسكرية أخرى كخزن الاسلحة وحفظ العتاد ، ورباطي سوسة والمونستير(١٩) في شمال افريقيا كانا مثلا للمراكز الحربية التي اسهمت في الصدام الحربي بين المسلمين وغيرهم .

كانت هذه المؤسسات ملتقى عناصر مختلفة من انحاء العالم الاسلامي ، ذهبو اليها إما مدافعين واما زاهدين يدفعهم حب العزلة ، لكن الزهاد ـ بتأثير من البيئة وبدافع نفسي او ديني ـ كان قد تضاعف عددهم وكان سيل من هؤلاء الخارجين يتجهون الى تلك الثغور ليس رغبة في مساعدة الجند المقيمين فيها ولم تكن رغبة الدفاع اساسا في خروجهم ، بيد ان السبب الرئيس كما نرى عزلة تلك المؤسسات عن صخب المدن وبعدها عن الانظار بدليل انهم لم يستوطنوها الا بعد جلاء الجند عنها ، كما حدث في القيروان مثلا . ومن كلام ابي حفص شهاب الدين عمر السهروردي (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) ، نفهم انه يفرق بين سكان الربط المجاهدين وبين سكانها من الصوفية الذين لا شأن لهم بالقتال ، يقول : « فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه ، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد »(٢٠) . فالسهروردي هنا يبرر وجود المريدين في الربط ويختلق لهم مشاركة موهومة في القتال ، وذلك بمساهمتهم فيه عن طريق الدعاء ! ، كتب احدهم الى أخيه يستدعيه الى الغزو (ويبدو ان أخاه كان من سكان الزوايا) ، فكتب اليه الاخير : « يا أخي كل الثغور مجتمعة لي في بيت واحد والباب عليّ مردود » ، فكتب اليه أخوه : « لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت أمور المسلمين ، وغلب الكفار، فلابد من الغزو والجهاد » فكتب اليه يجيبه : « يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا في زواياهم على سجادتهم : الله اكبر انهدم سور قسطنطينية »(٢١) هذه اشارة طريفة تدل على مبلغ تخاذل سكان الربط والزوايا ورفضهم للجهاد ؛ وبالتالي تنفي اقبال الصوفية على الربط من اجل الجهاد لكنهم مع ذلك أسهموا في بقائها ، فانتشار التصوف لم يلبث أن خلق مبررا لبقاء هذه الرّبط ، وبالتالي تحويلها الى دور ذات طابع صوفي مستقل ، ومن هنا اقترن لفظ الرّباط ومرادفه بالصوفية والزهاد والدراويش الذين بدأوا يهجرون مواطن سكناهم ويرابطون فيها ، كان من بينهم جماعة من الصوفية المعروفين ، كأبي العباس أحمد بن همام(٢٢) الزاهد الشاب الذي ترك امه وخرج الى ثغر يقال له « جلمانيه او جرمانية Jerumenha » في البرتغال فرابط فيه(٢٣) .

---

(١٢) كشف الظنون ١/٢٧ .

(١٣) لم نقف عليه ولعله فقد .

(١٤) مجمع الامثال ١/٢١ (بولاق) رقم المثل (٨٢) ، وفي ١/٢٥ (بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) ، جمهرة الامثال ١/٨١ (بهامش مجمع الامثال) .

(١٥) الانساب ٦/٩٦ .

(١٦) A.J. Arberry : Sufism p. 92 (London 1950)

(١٧) الربط البغدادية .

(١٨) الرحلة ١/١٤٢ (الطبعة الازهرية) .

(١٩) K.A.C Cresweel : Early Muslim Architecture Vol. 2. p. 167

وللافادة يراجع : خلاصة تاريخ رباط المونستير ، اما رباط سوسة فمن المفيد ان يراجع :

Marcais (Georges), Not sur les ribates en Berberie in Melanges Rene Basset 11 pp 400.

(٢٠) عوارف المعارف ص ٧٥ .

(٢١) عوارف المعارف ص ٧٦ .

(٢٢) رسالة القدس ص ٥٢ (مدريد ١٩٣٩) .

(٢٣) آسين بلاسيوس : ابن عربي ، حياته ومذهبه ص ١٥٩ (ترجمه عن الاسبانية : عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٦٥) وانظر : المكتبة العربية الصقلية ص ٦٨ (نصوص جمعها وحققها المستشرق الايطالي ميخائيل امادي ، ليبسك ١٨٥٧م) .

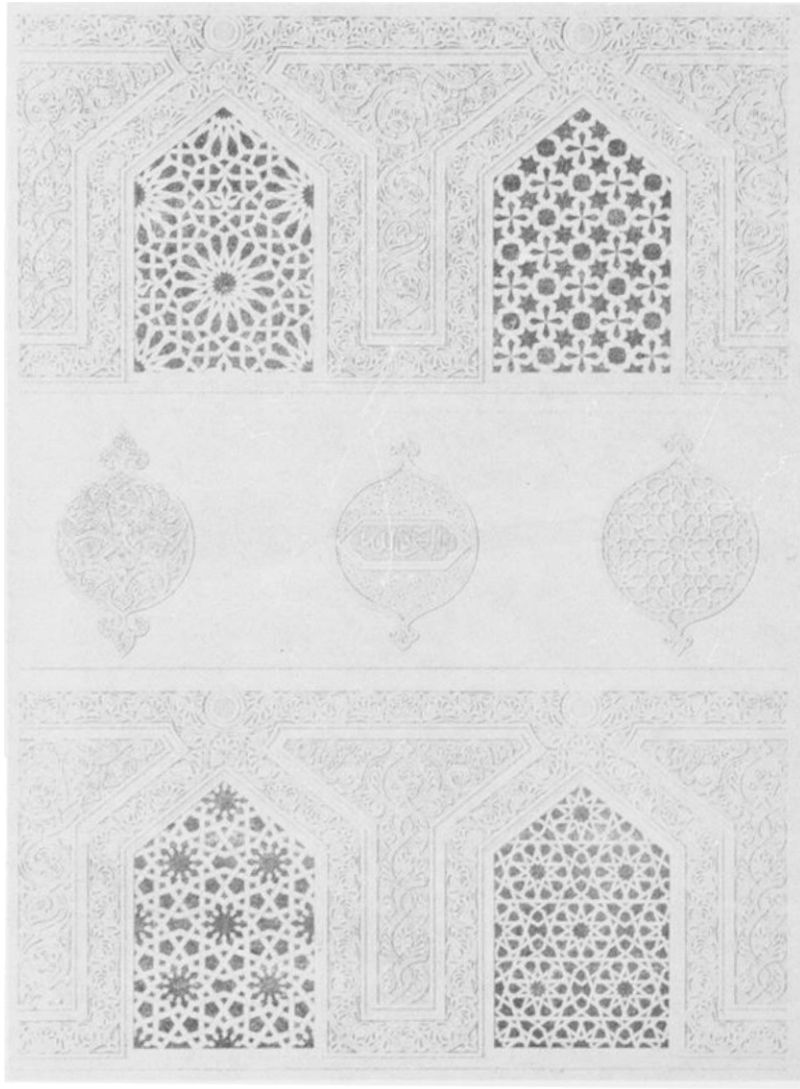

تكية الشيخ حسن صدقة

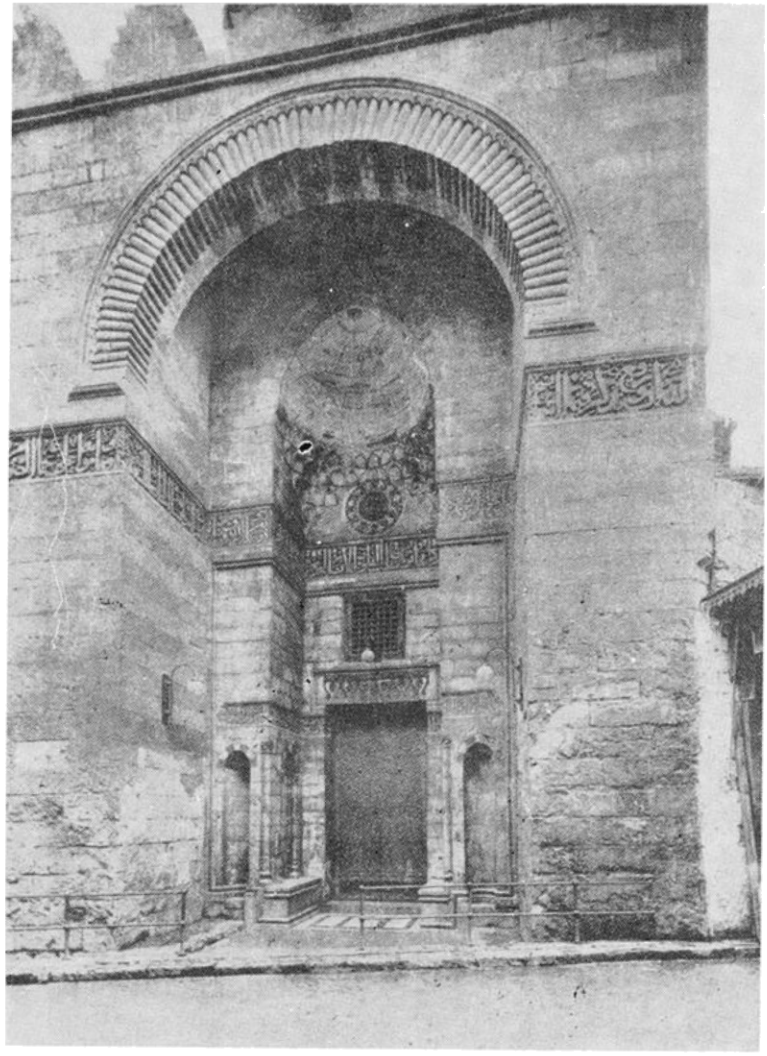

خانقاه بيبرس الثاني

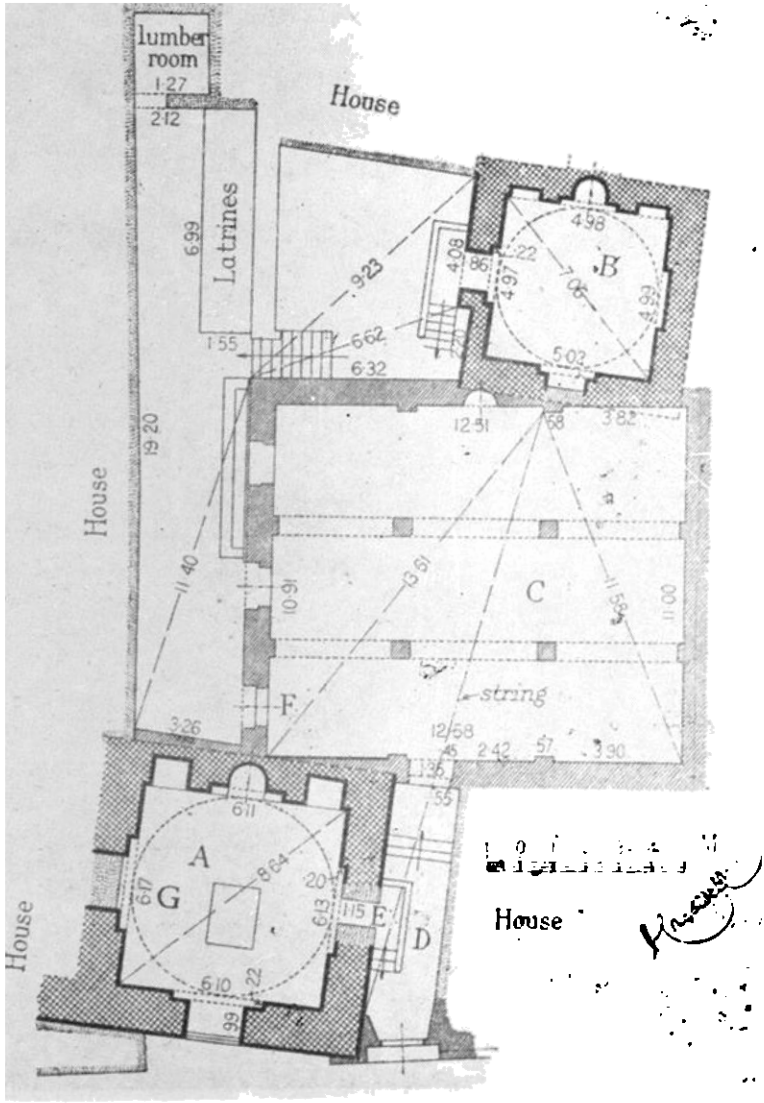

تخطيط

مصلى وخانقاه السلطان بيرس الجاشنكير

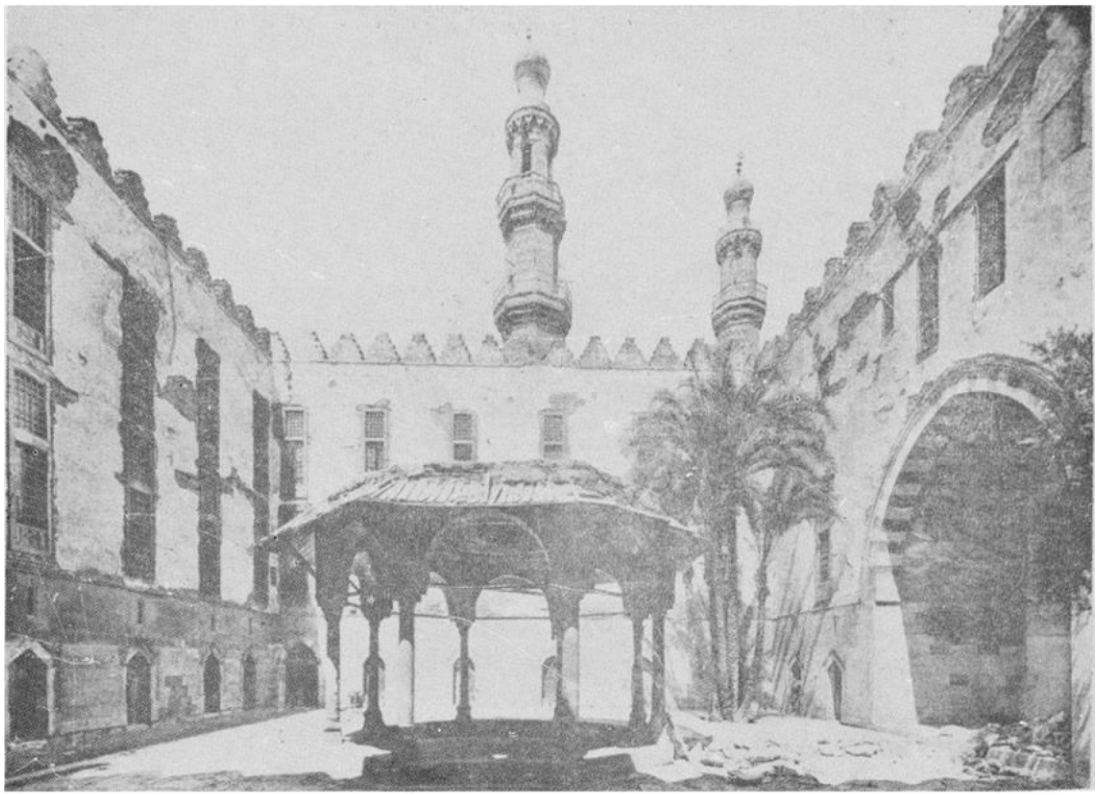

خانقاه الشيخو

بدأ التصوف على قاعدة فردية أول الامر لكنما المريدون ـ وبمضي الوقت ـ أخذوا يجتمعون حول أشياخهم ، فاتسعت حلقاتهم وبداوا يمارسون شعائرهم بشكل منتظم ، وهذا يعني ظهور البوادر الاولى للتنظيم الصوفي الذي انتهى الى تكوين الطرق وما تبعها من تفرعات وتشكيلات معقدة كان من حصيلتها حركة « الدراويش » في العالم الاسلامي . نقول ان بدايات ذلك التنظيم استدعت الاستقرار في أماكن وقواعد خاصة لتكون منطلقا لتنظيماتهم ومركزا لمقابلاتهم واجتماعاتهم ، فكانت تلك الفكرة هي النواة الاولى لقيام تلك المؤسسات ولا نعني بذلك ان الطرق ترتبط دائما بتلك المؤسسات لكن ضرورة التنظيم الحلقي الصوفي استدعت قيامها ، ومع ذلك فهذه ليست قاعدة اذا استندنا الى الحالة القائمة في الاندلس فلم يكن في الاندلس ثمة ربط قائمة مستقلة للطرق الصوفية ومع ذلك توجد طرق روحية .

وحين نترك الحديث عن الربط التي امتزجت فيها الصفتان العسكرية والصوفية وبدأنا نبحث عن الثانية بصفتها مؤسسات اقيمت للغرض الصوفي يجدر بنا أن نعود الى أصل بنائها وتطورها ثم استقلالها على هيأة دور صوفية تجمع المريدين وتهيء لهم المناخ المناسب لممارسة حياتهم الخاصة .. لكننا قبل ذلك سنطرح اسئلة قد تكون الاجابة عليها تأريخا مختصرا لنشوء هذا النوع المتطور من الربط ، فمن البادىء بانشاء أول دار للفقراء أو الزهاد أو المتصوفة ؟ ومتى ؟

يرى القزويني الانصاري (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ان أبا سعيد ابن ابي الخير (ت ٤٤١هـ/١٠٤٩م) كان البادىء بالعمل(٢٤) ويرى مؤرخون آخرون كالمقريزي مثلا ان للربط أصلا في السنة النبوية وهي ان النبي محمدا كان قد اتخذ لفقراء الصحابة الذين لاينتمون الى أهل وليس لهم مال ، اتخذ لهم مكانا من مسجده ، فأقاموا فيه وعرفوا بأهل الصفة(٢٥) ويرى البلاذري ومؤرخو العصور الوسطى ان أول بيت انشيء للمنقطعين للعبادة كان في البصرة في خلافة عثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ / ٦٥٦ م) « ذلك ان زيد بن صوحان بن حبرة عمد الى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى لهم دورا واسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره »(٢٦) .

بعد هذا العرض للدور التأريخي لتطور الرباط نحاول أن نقف على سماته الاجتماعية المميزة ، فالرباط عالم مستقل له أبعاده التي تحددها الظروف الخاصة التي يعيشها المريدون بين جدرانه ، وليست أساليب المعايشة في الربط متشابهة تماما فلكل رباط ظروفه المعينة وذلك يتأثر بدوره بسلوكية المريدين وطباعهم ومستوياتهم وبسلوكية شيخ الرباط وبمرعية الرباط ومستواه وعلاقته بالامارة أو السلطنة التي تمده بالبقاء ، وبنوع الطريقة التي يتبعها ثم بعنصري المكان والزمان ، هذه الابعاد هي التي تشكل الاطار الخارجي للحياة الربطية وتكسبها لونا خاصا .

في الربط سنجد بين المريدين نوعا من التكتلات الجماعية الصغيرة ، مجموعات تلفت النظر تتميز بسهولة . انها « الاخوانيات »(٢٧) حيث يجتمع المريدون بشكل منتظم يمارسون طقوسهم ومراسيمهم كالقيام بالنوافل (السهر من اجل الذكر ، الصيام ، التعبد . اداء الابتهالات والتضرعات من قبيل الاوراد والاذكار والاحزاب)(٢٨) هذه الطقوس والتراتيل تكاد تمارس يوميا وخاصة في آناء الليل واطراف النهار) هذه الطقوس والتراتيل تكاد تمارس يوميا وخاصة في الليل . لكنها تبلغ الذروة وتكون اكثر انتظاما واتصالا في مواسم معينة كرمضان(٢٩) ، وهذه الاخوانيات تساعد على انجاح تلك الشعائر ، يمارسونها دون تدخل خارجي ، وبدونما تأثير من أحد غيرهم انما هم لا يمانعون من اشراك عامة الناس في تلك الشعائر ان رغبوا هم في ذلك .

داخل الرباط كانت الحياة تنظم بدقة ، الساعات

---

(٢٤) آثار البلاد واخبار العباد ص ٣٦١ .

(٢٥) كانوا من الزهاد المنقطعين للعبادة ، قيل انهم كانوا يتقدمون الصفوف في الصلاة فسموا بأهل الصفة ، يراجع للافادة وعلى سبيل المثال ، التعرف لمذهب اهل التصوف ص ٣٣ ، التصوف عند العرب ص ٧٥ ، د. كامل الشيبي : المقال القيم حول اشتقاق كلمة (تصوف) . (مجلة كلية الآداب ٥ [١٩٦٢] ٢٣٧) .

(٢٦) فتوح البلدان ص ١٧١ ، الخطط ٢٧٢/٤ النجوم الزاهرة ٩٢/٧ .

(٢٧) الاخوانيات : لفظة عربية من الاخوة ، وقد استعملت بالتركية باضافة اداة الجمع « اخيلر » واشيع استعمالها في القرن السابع الهجري . وقد تكلم ابن بطوطة عن « الاخية » في بلاد الروم راجع الرحلة ٨٢/٢ .

(٢٨) نهاية الارب ٨٢/٥ ، ٢٨٣/٢ ، ويستحسن ان يراجع التصوف الاسلامي ٧٩/٢ ، ترجمة المحاضرة التي القاها بالانكليزية في الجامعة الامريكية (المقتطف ٩٣ [١٩٣٨] ١٩) .

(٢٩) HUGHES : Dictionary of Islam p. 118, 407, 626.

ويراجع ايضا : الادب الصوفي في مصر ص ٣٢٦ .

موزعة بطريقة محددة ، فوقت للطعام ووقت للنوم ووقت للصلاة والتعبد والذكر ، في وقت محدد يجتمع المريدون وفي وقت محدد آخر يتفرقون . وقد أفاض ابن بطوطة (ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م) في وصف حياة المريدين في الزوايا والربط وقال : « ان ترتيب امورهم عجيب » ! ففي الصباح يأتي خادم الزاوية الى الفقراء فيعين لكل واحد مايشتهيه من الطعام ، فاذا اجتمعوا للاكل جعلوا لكل واحد خبزا ومرقة في اناء على حدة لا يشاركه فيه احد ، وطعامهم مرتان في اليوم واشترط عليهم حضور الصلوات الخمس ، والمبيت بالزاوية ، ومن عوائدهم ان يجلس كل واحد منهم على سجادة خاصة به(٣٠) .

لا نستغرب من الدهشة التي ابداها ابن بطوطة حين رأى الحياة الاجتماعية ونظامها داخل الربط ؛ لقد كانت حياة المريدين بالفعل ذات ترتيب عجيب بالقياس الى التنظيم الاجتماعي العام المفكك ، ففي الوقت الذي نجد المجتمع يفقد تماسكه ويتساقط في هوة الطبقية والانحراف نجد المجتمع الربطي يحافظ على اتزانه من حيث التكوين العام وسنرى ان الطبقية تتلاشى فيه ، وتنطفيء العنصرية والاقليمية والطائفية ، وهذا لا يعني اننا نبرىء هذا المجتمع الصغير من السلبيات الناتجة عن ظروف خاصة سنأتي عليها فيما بعد . ان ذلك التنظيم الذي سنشهد بعض جوانبه ساهم في اعداده جمهرة من الصوفية حاولوا ان يخططوا لحياتهم كالغريب الذي يخطط في منفاه ولعل السهرودي (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) هو اول صوفي بدأ هذه المحاولة فوضع مايشبه النظام الثابت لبعض جوانب الحياة الصوفية في الزوايا والربط ، وبالرغم من انه لم يكمل المحاولة ولم تكن نظرته تتسم بالعمق والشمول بحيث لم نستطع بواسطة تخطيطاته ان نرسم صورة واضحة لها ، وقد تكتمل الصورة اذا ما اعتمدنا على التخطيطات التي وصلتنا من مصادر اخرى .

احوال اهل الربط لابد ان تتم ـ على رأي السهروردي ـ « بالصفاء والمودة » وان يلغي المريد في اعماقه ما أضمره لاخيه من الغل والحقد وان لا يثار احدهم لنفسه اذا اعتدي عليه زميله وان يكثروا الاجتماع ، ويقضي بعضهم حوائج بعض ويواسي أحدهم الآخر(٣١) ثم ان الشيخ اذا شكا اليه فقير من اخيه ، فله ان يعاتب أيهما شاء ، فيقول للمعتدي : لم تعديت ؟ وللمعتدى عليه : ما الذي اذنبت ؟ « ولا يزال يصلح بينهما حتى يردهما دائرة الاخوان »(٣٢) لذلك صارت روح الزمالة والصداقة المتينة مثلا اعلى يحتذيه المريدون. قيل لصوفي : أيهما أحب اليك : اخوك أم صديقك ؟ فقال : « انما أحب اخي اذا كان صديقا »(٣٣) .

كان هذا المناخ الذي تسوده الالفة والصفاء بين المريدين عاملا في خلق حياة هادئة في الرباط جعلهم يتعايشون فيه بأمن وسلام . واستطاع الرباط بذلك ان يخلق أدبا من آداب الصحبة بين المريدين الذين رسموا نوعا من السلوك الاجتماعي للمبتدئين ووضعوا اسسا من التعامل الخلقي المتبادل بين الافراد(٣٤) بحيث ليس ثمة فرقة أو خلاف ، نقل الطوسي صاحب اللمع عن الزجاجي قوله : « الخلاف أصل كل فرقة »(٣٥) وذكر عن ابي سعيد الخراز قال : « صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف، فقيل له وكيف ذاك قال : لاني كنت معهم على نفسي »(٣٦)أ .

فان فيهم مثلا ميلاً الى الصمت سعيا وراء تحقيق عالم مثالي طوباوي تكاد تتلاشى فيه أسباب الخطأ التي كثيرا ما يكون مصدرها زلة اللسان ؛ ويبدو انهم تأثروا بالاحاديث المأثورة عن النبي(٣٦)ب حول فائدة الصمت وقلة جدوى الكلام . قال الجنيد البغدادي : « رأيت مع ابي حفص النيسابوري انسانا كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لاصحابه من هذا ؟ فقيل لي : انسان يصحب ابا حفص ويخدمنا ، وقد انفق عليه مائة الف درهم كانت له ، واستدان مائة اخرى انفقها عليه مايسوغه ابو حفص ان يتكلم كلمة واحدة »(٣٧) .

ومع ذلك فلم يكن ذلك المناخ المتميز ليخلو من عناصر البلبلة التي كانت تحدث . فيبدو ان بوادر نزعة عصبية وطائفية كانت تظهر على المريدين في الرباط ، وقد تعني هذه العصبية أحيانا أن يتحزب المريد لشيخ معين على آخر ، أو لزاوية على اخرى

(٣٠) ابن بطوطة ١/٧١ ـ ٧٢ .
(٣١) عوارف المعارف ص ٨١ .
(٣٢) المصدر السابق ص ٨٢ .
(٣٣) قوت القلوب ٤/١٢٣ .
(٣٤) يراجع ، فصل (الصحبة) في كتاب التدبيرات الالهية ص ٢٣٤ ويراجع آداب الصحبة وحسن العشرة ، وذكر الغزالي جانبا من آداب الصحبة ، واحياء علوم الدين ٢/١٨٦ .
(٣٥) اللمع ص ١٧٧ .
(٣٦)أ المصدر السابق .
(٣٦)ب المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/٢١٠ .
(٣٧) المصدر السابق .

أو لطريقة على اخرى وقد ينشب جدل بين المريدين فمن كان هذا شأنه يتهم بتهمة كبيرة في عرف أهل الزوايا وهي انه اراد الدنيا ولم يرد الدين !!(٣٨) .

ونعود الى السهروردي الذي اشترط على ساكني الرباط بعض الشروط يرى انها مهمة وضرورية في تدعيم السلوك العام لكل مريد مرابط . فالمريد الجيد هو من : « قطع المعاملة مع الخلق . وفتح المعاملة مع الحق ، وترك الاسباب اكتفاء بكفالة مسبب الاسباب ، وحبس النفس عن المخالطات ، واجتناب التبعات » انه من : « عانق ليله ونهاره بالعبادة ، متعوضا بها عن كل عادة . شغله حفظ الاوقات وملازمة الاوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات »(٣٩) .

ويضيف السهروردي ان شرط الفقير الصادق اذا سكن الرباط الا يأكل من وقف الرباط، الا اذا لم يسعه الكسب(٤٠) وعلى المريد ان يشمر ساعد الجد لخدمة شيخه وتحقيق كل رغباته ، فالشيخ ـ كما يقول السهروردي ـ يحب من مريديه الذي يسعى لخدمته ، ذكر عن أبي عمرو الزجاجي قال : « اقمت عند الجنيد مدة فما رآني قط الا وانا مشتغل بنوع من العبادة ، فما كلمني حتى كان يوم من الايام خلا الموضع من الجماعة فقمت ونزعت ثيابي وكنست الموضع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة ، فرجع الشيخ ورأى اثر الغبار ، فدعا لي ورحب بي ، وقال : احسنت عليك بها ثلاث مرات ، ولايزال مشايخ الصوفية يندبون الشباب الى الخدمة حفظا لهم عن البطالة . »(٤١)

ثم قسم المسؤولون عن الربط مريديهم ثلاثة اقسام : كهول وشبان واطفال ، وجعلوا لكل فئة قسما خاصا بحيث لا يختلط اهله بغيرهم ، ولا يجتمعون الا يوما واحدا في الاسبوع ليتناقشوا فيما وقع بينهم طوال الاسبوع(٤٢) .

اما الدوام في الرباط فمنتظم يشبه الدوام الرسمي في وقتنا الحاضر ، فقد حرصت معظم الحجج المعاصرة الخاصة بأوقات الزوايا على وضع الشروط الكفيلة بعدم تغيب الصوفية عن ربطهم اكثر من ثلاثة ايام في الشهر الواحد : « وان غاب الصوفي اكثر منها قطع معلومه ووفر للخانقاه »(٤٣)

(٣٨) المجتمع المصري ص ٧٢ .
(٣٩) المصدر السابق .
(٤٠) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٤١) المصدر السابق ص ٨٥ .
(٤٢) لواقح الانوار ١٢٠/٢ ـ ١٢١ .
(٤٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

وهذه الآداب والشروط يلتزم بها المريد خارج الرباط ايضا فعندما يستأذن المريد شيخه او يستحصل منه اجازة خارج الرباط لابد ان يعاهده على الالتزام بالاداب اثناء اجازته ، وحبذ الشيوخ عدم استحصال الاجازات الا لسبب مهم كزيارة اهل او معاودة مريض وغيرها ، واوجب الشيوخ على مريديهم ان يكونوا خارج الرباط نموذجا للخلق الرفيع ، ويبدو أن هذا الانضباط وحسن السلوك كان باديا عليهم حين يخرجون يوم الجمعة في موكب الى الجامع والخادم يحمل لهم سجاجيدهم ، يصلون بخشوع ويقرؤن القرآن ثم ينصرفون مجتمعين ومعهم شيخهم(٤٤) .

ومشيخة الرباط من المناصب المهمة التي تنال الكثير من العناية(٤٥) فالشيخ هو الاب الروحي للمريد ، يشرف على سلوكه داخل الرباط ، ويتدخل في شؤونه في خارجه ايضا ، وتكون الصلة بينهما وثيقة ، والشيخ يمنح مريديه درجات رقيهم الى « الكمال الروحي » بواسطة مراتب خاصة »(٤٦) ، ولو تتبعنا الصور المتفرقة التي تعكس ذلك النمط الفريد من النظام والانضباط لعرفنا ان لشخصية الشيخ وطاعة مريديه له اثرا كبير في حياتهم . فالعلاقة او الرابطة بين الشيخ ومريديه تكون هي المحرك الاول والاساس في كل تعامل يطرح داخل الرباط ، عبر السهروردي من هذه الرابطة بقوله : « المريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته وتأدب بآدابه يسري من باطن الشيخ طال باطن المريد كسراج يقتبس من سراج »(٤٧) .

الشيخ هو الاستاذ يعلم مريديه آداب الكلام وآداب الصحبة وآداب الطعام ، وهو الذي يرسم لهم برنامج الحياة اليومية ، ولقد بولغ بشأن استاذية الشيخ ، حتى انه ليؤثر عن ذي النون انه قال : « ليس مريدا البتة من لم يكن اطوع لاستاذه من ربه »(٤٨) ، لذلك نظروا بعين الارتياب لكل صوفي لم يصحب شيخا من المشايخ يتأدب به ويلزم الطريق الذي يرسمه له(٤٩) .

ومشيخة الرباط بعد ذلك من المناصب التي تتطلع اليها العيون فقد اتفق للشعراني انه قال

(٤٤) ابن بطوطة ٧٣/١ ، المقريزي ٢٧٤/٤ .
(٤٥) مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢٧/٢ .
(٤٦) A.J. Wensinck : Bar hebraeus's Book of the dove, p. 130.
(٤٧) عوارف المعارف ص ٧٠ .
(٤٨) تذكرة الاولياء ١١/١ ، ٧١ .
(٤٩) الطبقات الكبرى : : ٨٨/٢ .

مرة : « اذا رفعك الله فصرت عالما او شيخ زاوية ... »(٥٠) وكانت لهذه المشيخة منزلة في عصرها وللشيخ نفوذ بين اتباعه ، وترتبط سمعة الرباط عادة بسمعة شيخه كما ترتبط بأهمية رباطه(٥١) وقد يعين في الرباط الواحد شيخان وربما اكثر ، ولم تصلنا نصوص تكشف عن مدى العلاقة بين هؤلاء الشيوخ ومدى صلاحية كل منهم ، ومن هنا ـ كما نرى ـ جاء لقب شيخ الشيوخ ، كما هو الحال في خانقاه سعيد السعداء ، وقد اريد بهذا التعبير شيخا على المريدين في الخانقاه وليس شيخا على البلد كله .

ويجدر بعد هذا العرض ان نستخلص المعالم الحضارية التي ارتسمت على بنية الربط بوصفها مجتمعا انسانيا ، فالصفة الغالبة على تلك المؤسسات الصوفية ، السعة والتنظيم وفخامة البناء ، وكان في العادة ان تترك فسحة كبيرة وسط الرباط لاجتماع المريدين وتسامرهم ، وان تبنى غرف حولها هي بمثابة خلوات للمريدين وماوى لهم ، وهذا الوصف العام ينطبق تقريبا على اكثر الربط والخوانق والزوايا في المشرق والمغرب ، قلنا ان السعة هي اول ما يتميز به الرباط في الشرق وخاصة في مصر ، حتى ان بعضها كما قيل يسع لالف فارس(٥٢) وهذا يعني وجود اعداد كبيرة من المريدين كانوا سببا في ايجاد هذه السعة ، ذكر ان ساكني خانقاه سعيد السعداء وحدهم يعمرون مدينة ، وقد بلغ تعدادهم سبعمئة نفر واكثر(٥٣) ، وكانت الزوايا تكتظ بالفقراء ايام الغلاء ويزداد عددهم بين الحين والحين ، ويقال ان رباط الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي كان يسكنه الف واربعمئة ساكن يتغذى كل واحد منهم على وفق رغبته(٥٤) .

كانت هذه الاعداد الكبيرة من الفقراء تخلق بطبيعة الحال نوعا من الارباك لشيخ الرباط وللدولة ايضا فالفقراء لا يتورعون في المطالبة بالاصناف الجيدة من الطعام ، وكثيرا ما يظهرون تمردهم وضيقهم بالطعام الخشن ، حتى اوجب الشعراني طردهم من الزوايا من دون تردد « عظة لغيرهم من الادعياء » !(٥٥) .

وكان من الطبيعي ان تثار مشاكل عديدة بسبب هذا الزخم الهائل الذي لايحمله رباط واحد مهما كانت سعته ، ولم يكن من مصلحة المرابطين ان يزداد عددهم ، لان الوقف ثابت احيانا مما يؤدي الى انخفاض عام في مستوى معيشة الاعضاء(٥٦) .

ولهذا السبب قرر المسؤولون آنذاك ان يقللو عدد المقيمين في الربط وفصلو بين العزاب والمتزوجين وجعلوا كلا منهم في ربط خاصة ، وشرعوا في الحد من تزايد العدد وعدم السماح بالاختلاط او اشاعة الفوضى(٥٧) .

واذا تركنا موضوع سعة الرباط وكثرة المريدين واثر هذه الكثرة في حياتهم الاقتصادية ، فسنتحدث عن تنظيم الربط من حيث النظافة وحسن البناء وهندسته .

ان اهم ما يميز بعض الربط ذات المستوى الجيد الاهتمام بالنظافة كصفة تعكس الوضع الصحي والاجتماعي داخل الرباط ، سنجد ان في بعضها الحقت الحمامات والمطابخ وبرك الماء(٥٨) وسنجد خزائن الاشربة والادوية ، في بعض حماماتها عين حلاقون لحلق الرؤوس ومدلكون لتدليك الابدان(٥٩) وهذا يدل على مبلغ عناية المريدين بأنفسهم بحيث انهم كانوا يصففون ويصلحون لحاهم ويتطيبون ويحرصون على ان يظهروا بمظهر التأنق ولكن يبدو أن بعض الشيوخ لم ترق لهم هذه المظاهر التي اسموها : « بالمظاهر المتراخية في الربط » وقد هاجم ابن عربي المريدين الذين : « مغراهم المطلوب ومنحاهم المرغوب تنظيف مرقعاتهم بل مشهراتهم » !(٦٠) وعاب عليهم ثيابهم النظيفة الجديدة ذوات الحواشي الملونة والاكمام الواسعة ، كما عاب عليهم حمل السبحات المزينة واستعمال العكازات التي يستندون عليها في المشي !(٦١)

لكن احتجاج ابن عربي ـ فيما يبدو ـ لم يترك اثرا في نفوس هؤلاء المريدين المتأنقين ، وقد شجع شيوخ الربط لسبب او لآخر المظاهر المترفة في تلاميذهم ، واحبوا ان يظهروا دائما بمظهر يدل على النعمة ، فخصصوا لهم الاطباء لعيادتهم وتفقد حالاتهم الصحية ، كما خصصوا لهم ايضا « جرائحي وكحّال لعلاج العيون(٦٢) » ، وقد نصت حجة

---

(٥٠) الطبقات الكبرى : ٨٨/٢ .
(٥١) صبح الاعشى ٣٧/١١ .
(٥٢) النجوم الزاهرة ١٦٣/٣ .
(٥٣) الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ص ١٨٨ .
(٥٤) جامع كرامات الاولياء ٢٤١/١ .
(٥٥) الشعراني : امام التصوف في عصره ص ٨٠ .
(٥٦) ذيل الاعلام بتاريخ أهل الاسلام ١٠٧/١ .
(٥٧) ابن بطوطة ٧١/١ ـ ٧٢ .
(٥٨) المصدر السابق ص ٢٤٧ .
(٥٩) عاشور : المجتمع المصري ص ١٧٢ .
(٦٠) ابن عربي : رسالة الامر ص ٤٧ .
(٦١) المصدر السابق .
(٦٢) عاشور : المصدر السابق ص ١٧٢ .

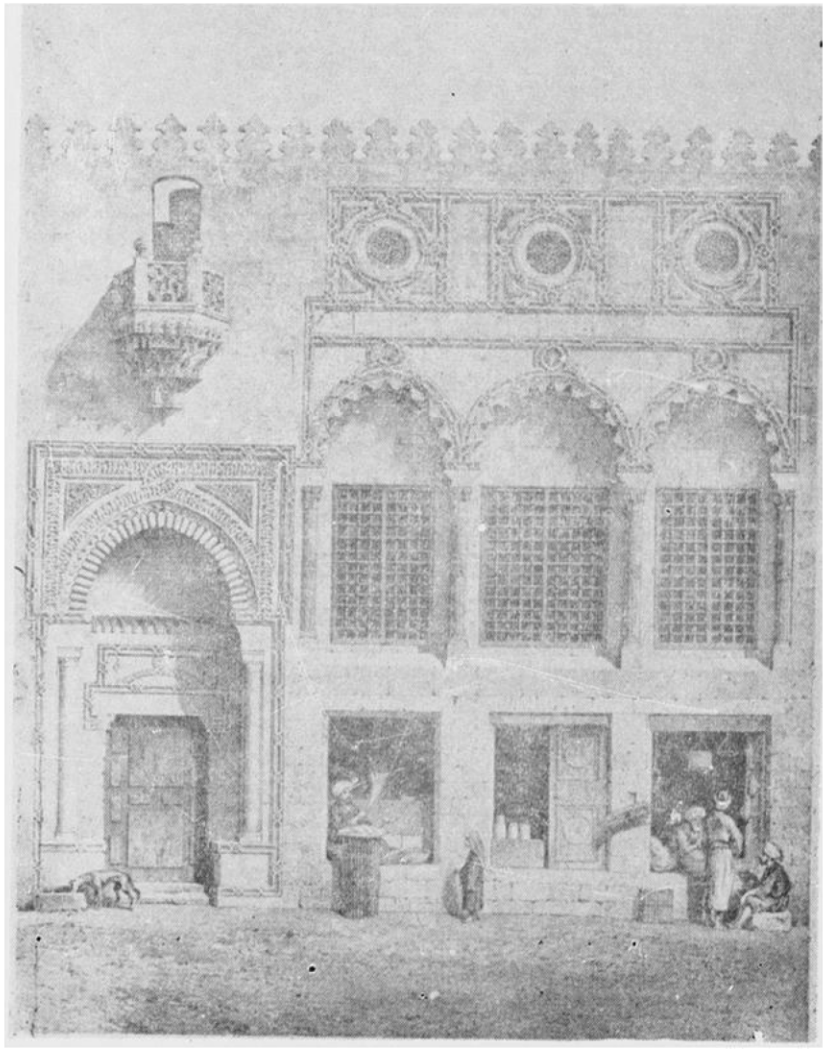

زاوية عبدالرحمن كهية

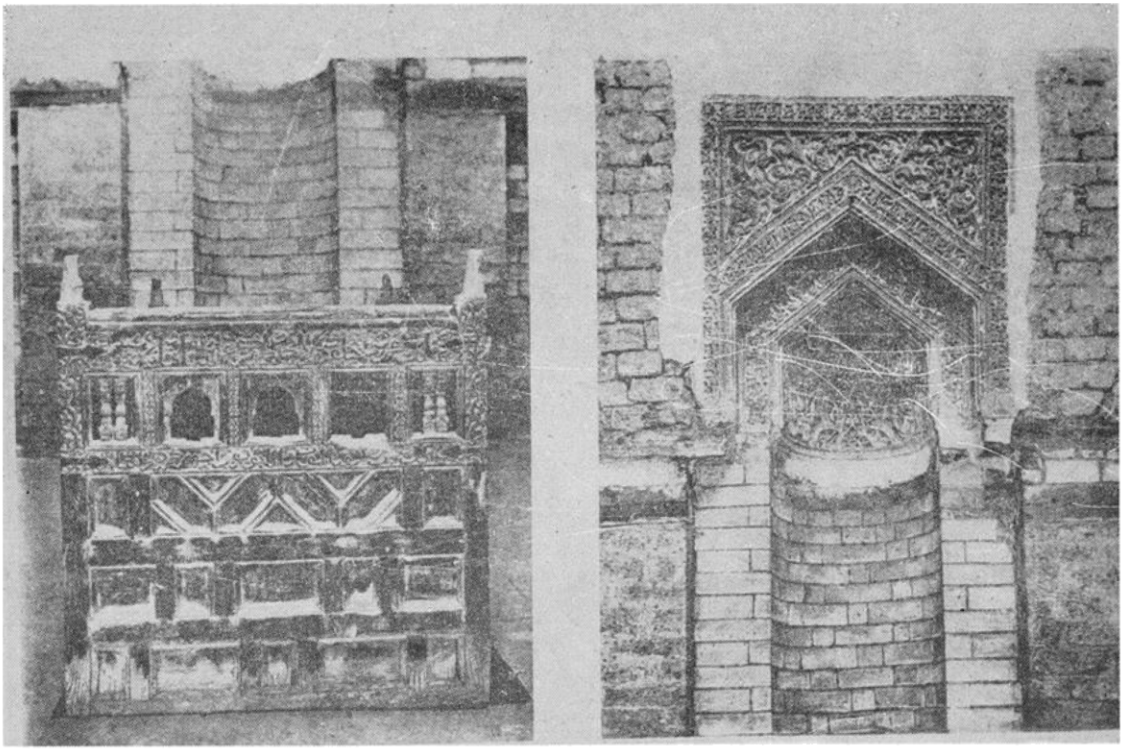

زاوية العبار مع المحراب

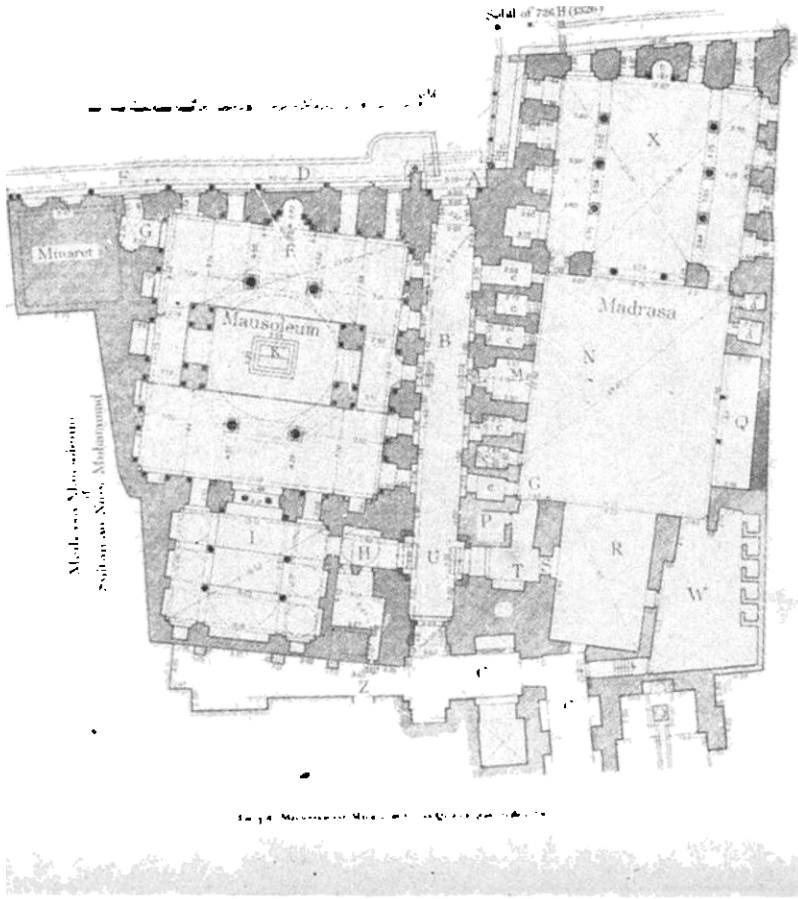

تخطيط عام لخانقاه مدرسة السلطان قلاوون

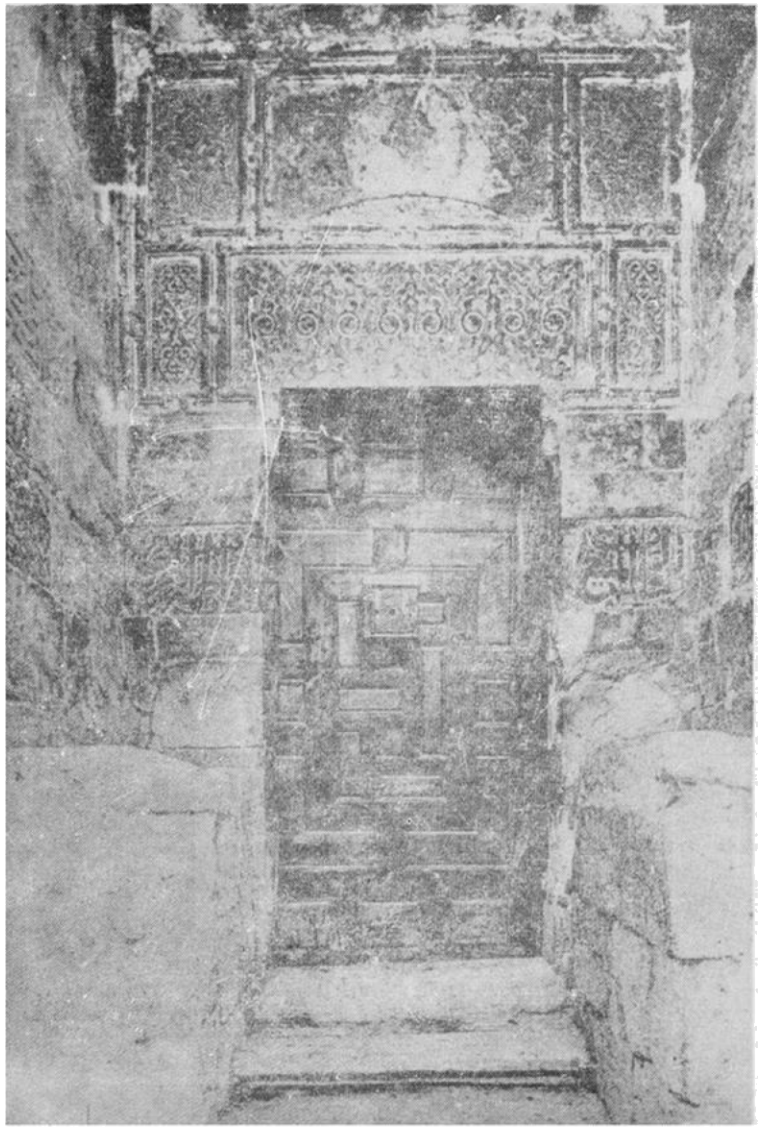

زاوية فاطمة الخاوند

وقف الغوري على تخصيص طبيب يتقاضى في الشهر خمسمئة درهم « يتفقد مرضى الصوفية ويصف لكل منهم ما يناسبه من الادوية ويحسن علاجه »(٦٣) .

ومن خلال النصوص المدونة بوسعنا أن نرسم جانبا آخر لمبلغ الترف الذي وصلت اليه بعض الربط ، وكثيرا ما كان هذا الترف يقترن مع التبذير وصرف المبالغ دونما مبرر ، يوضح لنا المقريزي بعض خطوط هذا الترف لخوانق وربط مصر . وبالرغم من أن هذه الصور المترفة تتماشى مع حال النيل ورخاء العيش في مصر آنذاك الا أنها تعكس مدلولا آخر سيأتي شرحه فيما بعد .

كان خانقاه سعيد السعداء يعج بالمريدين من المتصوفة والفقراء يأتيه الزاد كل يوم من اللحم والخبز وأصناف الاطعمة بلا حساب(٦٤) وفي خانقاه ركن الدين بيبرس اربعمئة صوفي يأكلون على حساب الخانقاه ، وفي الرباط المجاور له مئة من الجند وابناء العجزة ، وكان فيه مطبخ يوزع منه على المجاورين اللحم وصنوف الطعام وارغفة الخبز والحلوى ، لكل فقير من فقرائها(٦٥) وكذلك الحال في خانقاه « بشتاك » ، كما رتب للطلبة في خانقاه « شيخو » الطعام كل يوم والزيت والصابون كل شهر وكانت له أوقاف كثيرة تصرف وارداتها لهذا الغرض(٦٦) وكان لفقراء خانقاه « سرياقوص » ثمن كسوة كل سنة ، وتوسعة في كل رمضان والعيدين والمواسم ، فوق ما كان لهم من صنوف الطعام الشهي ، والخبز النقي ! فوق ماكان يوزع عليهم من زيت الزيتون والفاكهة والاثمار الطرية ، ولايخلو الخانقاه فوق ذلك من السكر والوان الشراب وانواع الادوية وحاجات اخر قد لا تمر ببال(٦٧) لكن ذلك ليس مقياسا تقاس عليه الربط كلها فهي تختلف باختلاف الوقت والظروف الاقتصادية السائدة ومقدار الاموال الموقوفة عليها ، واقدار الشيوخ ومراكزهم « فبعضها يحمل اليها كل ماندر ، وبعضها يحمل اليها الخبز القفار »(٦٨) : لذلك يزداد عدد الفقراء تبعا لظروف الزاوية المعاشية ، يزداد عددهم أيام الرخاء ، وينفضون

(٦٢) المصدر السابق .
(٦٤) المقريزي : الخطط ٢٨٣/٤ .
(٦٥) المصدر السابق ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .
(٦٦) المصدر السابق ص ٢٨٥ ـ ٢٨٦ .
(٦٧) المصدر السابق .
(٦٨) التصوف الاسلامي ٣٥٩/١ .

عن كل زاوية ادرك شيخها البخل أو اصاب الحرص نقيبها .

وجانب آخر يدل على الرقي والامعان في الذوق الفني الرفيع . فستجد في بعض الربط ذات المستوى الجيد المطابخ لتهيئة اطعمة جيدة . تلحق بها الافران ، وفي جانبها أعدت المدافن لدفن من يموت من الفقراء وزرعت فيها الحدائق واشجار الفاكهة(٦٩) وفي حجرها امدت الفرش وهيأت آلالات النحاس والقناديل والخشب المكفت والزجاج المذهب وغير هذا وذاك من النفائس التي لا ترى في غير قصور الملوك والاثرياء كما يقول المقريزي(٧٠) .

وشهدت الربط فنا معماريا عاليا وخاصة ربط مصر والمغرب العربي . ففي المغرب توجد ربط كثيرة فخمة وجميلة بعضها ضخم البناء يقوم على الاعمدة الرخامية ، وبعضها بني بالآجر . ومنها ما هو كثير الزخرفة والتنميق(٧١) مثل زاوية الزليجي في تونس والتي بناها الحفصيون [٦٢٧ ـ ٨٩٢ هـ / ١٢٢٩ ـ ١٥٧٤ م] ففيها الكثير من النقوش وكتابات من الطراز الحفصي المتأثر كثيرا بالفن المعروف بـ « الهيسبانو موريسك » أي الاسباني المغربي ، وجدرانها مكسوة بقطع الزليج الملون والمزخرف بالتساطير البارزة من النوع النادر جدا في العمارات التونسية الاخرى(٧٢) كانت قبة هذا الرباط مثالا طريفا من الفن المغربي كما استعمل الجبس المنقوش لتجميل ربط المغرب حتى صار من آيات الفن الاسلامي ، واعتبر من أروع ما ابتدعه الفن في تلك الربوع ، كما في زاوية سيدي الناصر القراوشي في احدى قرى تونس ، وكما في زاوية سيدي العربي في راس الجبل في تونس ايضا وتنطبق هذه الابداعات على كثير من ربط المغرب العربي(٧٣) هذه الابداعات اضافت الى الفنون المعمارية الاسلامية طابعا متطورا فقد عني المغاربة ببناء الربط وزخرفتها وتجميلها منذ عصر ملوك الاغالبة . (١٨٤ ـ ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ ـ ٩٠٩ م) .

اما من الناحية الثقافية فقد بلغ الرقي ببعض الربط في بغداد أن أنشيء فيها خزائن للكتب(٧٤)

(٦٩) التشوف ص ٢٨٠ .
(٧٠) الخطط : ٢٨٩/٤ ـ ٢٩٠ ، ٢٩٧ .
(٧١) اختصار الاخبار عما كان بثغر سبته من سني الآثار ص٣٢
(٧٢) بين الآثار الاسلامية في تونس ص ٢٥ .
(٧٣) للافادة يستحسن ان تراجع : رحلة التيجاني وفيها وصف لصفاقس ورباطاتها .
(٧٤) براجع للزيادة والتفصيل البحث القيم للاستاذ كوركيس عواد ، مجلةالموصل ، (١ [١٩٤٦ ـ ١٩٤٧] ص ٨١٣)

خصص لها قوّام يتولون خزنها ومناولتها وترتيبها(٧٥) تحتوي على التصانيف النفسية كخزانة الرباط الخاتوني السلجوقي في بغداد ، وقد وقفها الخليفة الناصر لدين الله العباسي (٦٢٢ هـ /١٢٢٥ م) في تربة سلجوقي خاتون ، وخزانة كتب الرباط بالحريم الطاهري(٧٦) ذكرها ابن الاثير في حوادث سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) ودار الكتب برباط المأمونية(٧٧) ودار كتب رباط باتكين بالبصرة التي انشأها الامير ابو المظفر باتكين (ت ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) في خلافة المستنصر بالله .

ومن الجوانب العلمية والثقافية التي نهضت بها الربط نذكر ذلك الاسهام الفعال الذي قامت به الزوايا في المغرب مثلا بأيفاد التلاميذ على نفقتها الخاصة الى المدارس والمعاهد(٧٨) اي ان الزوايا والربط قامت بالدور نفسه الذي تقوم به المؤسسات الثقافية في العصر الحديث من ايفاد الطلبة على نفقتها الخاصة ، لذلك فان الزوايا هناك انتعشت حتى تجاوزت الثلثمئة زاوية(٧٩) كلها تحفل بالشيوخ والقراء ومؤدّبي الاطفال والنقباء(٨٠) والمربين والمرشدين وقد احتفظت ربط وخوانق الشرق ايضا بهذه الميزات وذاع صيتها وكثر عددها ففي شارع واحد من شوارع اصفهان اسمه كوطراز (شارع الطرازين) كان يوجد خمسون رباطا ، ذلك في عهد السلطان طغرلبك(٨١) .

قلنا ان الربط ساهمت في الحركة الثقافية ، كانت تنحصر العلوم آنذاك في القرآن والحديث والفقه وطرف من التاريخ والسير والتصوف ، وقد فاخر الشعراني (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) بأن الذين يقرأون القرآن والحديث في زاويته(٨٢) يواصلون القراءة ليلا ونهارا ، فلا يفرغ قاريء في الحديث حتى يشرع غيره في قراءة التصوف ، ولا ينتهي هذا حتى يليه قاريء في كتب الفقه ، وهكذا سحابة النهار وطيلة الليل من غير انقطاع ، حتى ان الناس كانوا يسمعون لزاويته دويا كدوي النحل ليلا ونهارا(٨٣) وهكذا ازدهرت بالقراء في الفقه والحديث والتفسير والنحو وما اليها من العلوم الدينية واللغوية ، ثم نشطت في قراءة مباحث علوم التصوف وقراءة التراتيل والاحزاب والاوراد وما اليها(٨٤) وفي الرباط كانت تعقد مجالس الوعظ ، اذ كان للواعظ ميل صوفي كما كان يحدث بالنسبة لأبي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي(٨٥) (ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م) .

وكان في بعض ربط مصر قراء وفقهاء ، وعليهم ان يحضروا في أوقات معلومة ، ففي الرباط العلائي كان عشرة من الفقهاء يحضرون يوميا في كل اسبوع(٨٦) وفي بعضها كانت دروس تلقى على الطلاب منها اربعة لطوائف الأئمة الاربعة(٨٧) ودروس في الحديث واقراء القرآن بالروايات السبع ، ولكل درس مدرس يتولاه وطلبة اشترط فيهم الا يتغيبوا عن حضوره ، وبعد الدرس كانت ثمة طرائف لغوية تطرح لتبديد الملل الذي قد يقع .

هذه محاولة تأتي كمقدمة لبحث واسع حول نشأة الربط الاسلامية واهميتها من النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية ودورها الثقافي واثرها من الناحية المعمارية اذا اعتبرت جزءا من النهضة المعمارية التي شهدتها الحضارة العربية ابان نضوجها واكتمالها ، واسعى لكي يكون هذا المدخل دراسة مقتضبة لهذا الموضوع الذي لما يجد اهتماما من قبل الباحثين والمؤرخين بعد ، وكنت انجزت لتوي تنسيق مادة هذه الدراسة بشكل مفصل آمل فيها ان تحقق بعض النفع .

---

(٧٥) د. مصطفى جواد : الربط البغدادية ، مجلة سومر ، نفس المصدر السابق .

(٧٦) الحريم الطاهري : محلة من محال بغداد القديمة ، يراجع معجم البلدان بهذا الباب ، والعمري : غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام ، ورقة ٥٢ (مخطوط في خزانة المتحف العراقي رقمه ٣٢٤) .

(٧٧) المأمونية : احدى محلات بغداد القديمة .

(٧٨) حاضر العالم الاسلامي ٢/٣٩٥ .

(٧٩) المصدر السابق .

(٨٠) النقباء : جمع مفرده نقيب ، من الرتب الصوفية ، يراجع فيما يخص اللفظة ، اللسان ١/٧٦٩ ، ولها مدلول اداري اشيع في العصر العباسي الاخير / ذكر في : الاحكام السلطانية ص ٩٦ .

(٨١) سفرنامة (رحلة ناصر خسرو) ص ١٥٤ .

(٨٢) اسس زاوية الشعراني القاضي الازبكي .

(٨٣) لطائف المنن : ١/٨٨ ، ٢/١١٣ ، الطبقات الكبرى ٤٩٦ ، طبقات الشاذلية ص ١٣٩ .

(٨٤) لطائف المنن : المصدر السابق .

(٨٥) العبر ٤/٤٥ .

(٨٦) المقريزي ٤/٩٧ .

(٨٧) التصوف في مصر ابان العصر العثماني ص ٤٠ .

المراجـع

١ ـ الكتب العربيـة

ابن اياس (محمد بن احمد الحنفي ، ت ٩٣٠ / ١٥٢٤) .
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القاهرة ١٣١١ .
ابن بطوطة (محمد بن عبدالله ، ت ٧٧٩ / ١٣٧٧) .
رحلة ابن بطوطة ، المسماة : (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، باريس ١٨٥٩) .
ابن تغري بردي (ابو المحاسن جمال الدين يوسف ، ت ٨٧٤ / ١٤٦٩) .
النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٥٦) .
ابن جبير (ابو الحسن محمد بن احمد ، ت ٦١٤ / ١٢١٧) .
رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٤ .
ابن الجوزي (جمال‌الدين ابي الفرج عبدالرحمن البغدادي ، ت ٥٩٧ / ١٢٠٠) .
تلبيس ابليس ، مصر ١٣٤٠ / ١٩٢١ .
ابن الجوزي
صفة الصفوة ، حيد آباد ١٣٥٥ / ١٩٣٦ .
ابن الجوزي
المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ / ١٩٣٩ .
ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ / ١٤٠٥ـ٦) .
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مصر ١٢٨٤ / ١٨٦٧ .
ابن خلكان (ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم ، ت ٦٨١ / ١٢٨٣)
وفيات الأعيان ، مصر ١٣٦٨ / ١٩٤٨ .
ابن رسته (ابو علي احمد بن عمر ، ت حوالي ٢٩٠ / ٩٠٣) .
الاعلاق النفسية ، ليدن ١٨٩١ .
ابن الساعي (ابو طالب علي بن انجب ، ت ٦٧٤ / ١٢٧٥ـ٦) .
الجامع المختصر (منسوب اليه) ، تحقيق د.مصطفى جواد ، بغداد ١٩٣٧ .
ابن طباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي ، ت ٧٠٩ / ١٣٠٩) .
الفخري في الآداب السلطانية ، القاهرة ١٩٢٧ / ١٣٤٦ .
ابن عبد ربه (شهاب الدين احمد بن محمد الاندلسي ، ت ٣٢٨ / ٩٥٠) .
العقد الفريد ، مصر ١٩٥٣ / ١٣٧٣ .
ابن عساكر (ابو القاسم علي‌بن الحسن ، ت ٥٧١ / ١١٧٦) .
تاريخ دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ١٣٧١ / ١٩٥١ .
ابن عربي (محي‌الدين محمد بن علي الحاتمي ، ت ٦٣٨/١٢٤١)
التدبيرات الالهية ، الهند ١٣١٥ / ١٨٩٧ .
ابن عربي
الفتوحات المكية ، مصر ، ١٢٩٣ / ١٨٧٦ .
ابن عماد الحنبلي (ابو الفلاح عبدالحي ، ت ١٠٨٩ / ١٦٧٨)
شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مصر ١٣٥٠/١٩٣١
ابن الفوطي (عبدالرزاق بن احمد ، ت ٧٢٣ / ١٣٢٩) .
الحوادث الجامعة (منسوب اليه) ، نشره د. مصطفى جواد ، بغداد ١٣٥١ / ١٩٣٢ .
ابن قتيبة (ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، ت ٢٧٦/ ٨٧٩) .
عيون الاخبار ، مصر ، ١٩٦٤ .
ابن كثير (عمادالدين ابي الفدار اسماعيل الدمشقي ، ت ت ٧٧٤ / ٣٧٣) .
البداية والنهاية ، مصر ١٣٥٨/١٩٣٦ .
أبو العلا عفيفي .
الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، القاهرة ، ١٣٦٥ / ١٩٤٥ .
أحمد أمين
ضحى الاسلام ، القاهرة ١٣٥٥ / ١٩٣٦ .
الاصفهاني (أحمد بن عبدالله بن أحمد ، ت ٤٣٠/١٠٣٩) .
حلية الاولياء ، القاهرة ، ١٣٥١ / ١٩٣٢ .
بروكلمان (كارل ، ت ١٣٧٦ / ١٩٥٦) .
تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة د. نبيه امين فارس ، ومنير البعلبكي ، بيروت ١٩٤٨ .
البلاذري (ابو جعفر أحمد بن يحيى البغدادي ، ت ٢٧٩ / ٨٩٢)
انساب الاشراف ، القدس ، ١٣٥٥ / ١٩٣٦ .
البلاذري .
فتوح البلدان ، مصر ١٣٥٠ / ١٩٣٢ .
البيروني (ابو الريحان محمد ، ت ٤٤٠ / ١٠٤٩) .
الآثار الباقية ، بأعتناء ادور سخو ، ليبزج ١٩٢٣ .
الجاحظ (عمرو بن بحر ، ت ٢٥٥ / ٨٦٩) .
البخلاء ، مصر ١٣٢٣ / ١٩٠٥ .
الجاحظ .
البيان والتبيين ، تحقيق حسن السندوبي ، مصر ١٩٤٧ .
جرجي زيدان (ت ١٣٣٣ / ١٩١٤) .
تاريخ التمدن الاسلامي ، القاهرة ١٣٢٢ / ١٩٠٤ .
جولد تسهير
العقيدة والشريعة في الاسلام ، مصر ١٩٤٦ / ١٣٦٦ .
الجهشياري (ابو عبدالله محمد بن عبدوس ، ت ٣٣١/٩٤١) .
الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، وآخرين، مصر ١٣٥٧ / ١٩٣٨ .
الجيلي (عبدالكريم ، ت ٨٠٥ / ١٤٠٣) .
الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، القاهرة ١٢٩٣ / ١٨٧٦ .
حتي (فيليب)
تاريخ العرب (المطول) ، بيروت ١٣٧٠ / ١٩٥٠ .
الحموي (أبو عبدالله بن عبدالله البغدادي ، ت ٦٢٦/١٢٢٩)
معجم البلدان ، مصر ١٣٠٦ / ١٨٨٨ .
حسن ابراهيم حسن (الدكتور) .
تاريخ الاسلام السياسي ، مصر ١٣٥٤ / ١٩٣٥ .
الخطيب البغدادي (ابو منصور عبد القاهر بن ظاهر ، ت ٤٦٣ / ١٠٧١) .
تاريخ بغداد ، دمشق ١٣٦٥ / ١٩٤٥ .
الخفاجي (شهاب الدين أحمد المصري ، ت ١٠٦٩ / ١٦٥٨) .
شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، مصر ١٣٧١ / ١٩٥٢ .
الدوري (الدكتور عبدالعزيز) .
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري بغداد ١٩٤٨ .

الذهبي (شمس‌الدين محمد بن أحمد المصري ، ت ١٣٤٧/٨٤٨)
دول الاسلام ، حيدر آباد ١٣٦٤ / ١٩٤٣ .
السراج (ابو نصر عبدالله بن علي الطوسي ، ت ٣٧٨ / ٩٨٨) .
اللمع ، تحقيق ونشر نيكلسون ، ليدن ١٩١٤ .
السيوطي (جلال‌الدين عبدالرحمن بن الناصر الشافعي ، ت ٩١١ / ١٥٠٥) .
تاريخ الخلفاء ، دمشق ١٣٥١ / ١٩٣٢ .
السيوطي .
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مصر ١٢٩٩
السيوطي .
الاتقان في علوم القرآن ، القاهرة ١٣٦٠ / ١٩٤١ .
الشعراني (أبو المواهب عبدالوهاب ، ت ٩٧٣ / ١٥٧٩) .
طبقات الشعراني ، مصر ، د.ت .
صدرالدين أبي الحسن علي بن ناصر (من رجال القرن الرابع الهجري) .
أخبار الدولة السلجوقية ، لاهور ١٩٣٣ .
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠ / ٩٢٣-٣) .
تاريخ الامم والملوك ، مصر ١٣٢٣ / ١٩٥٧ .
الطويل (الدكتور توفيق) .
الشعراني ؛ امام التصوف في عصره ، القاهرة ١٩٤٥
العسقلاني (أبوالفضل أحمد بن علي الكناني ، ت ١٤٤٨/٨٥٢)
الاصابة في تمييز الصحابة ، مصر ١٣٢٨ / ١٩١٠ .
العطار (فريدالدين ، ت ٦٢٧ / ١٢٣٠) .
تذكرة الاولياء ، طهران ١٣٢١ / ١٩٠٣ (بالفارسية)
القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي ، ت ١٠١٩ / ١٦١٠) .
اخبار الدول وآثار الأول ، ايران ١٢٨٢ / ١٨٦٥ .
القشيري (أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن ، ت ٤٦٥ / ١٠٧٤)
الرسالة القشيرية ، مصر ١٢٨٤/١٨٦٧ .
القفطي (علي بن يوسف ١٢٤٨/٦٤٦) .
أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، عنى بتصحيحه ، محمد امين الخانجي ، مصر ١٣٢٦/١٩٠٩ .
الكلاباذي (أبو بكر محمد بن اسحق البخاري ، ت ٩٩٠/٣٨٠)
التعرف لمذهب أهل التصوف ، نشره اربري ، مصر ١٣٥٢/١٩٣٣ .
متز (آدم)
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة د. ابو ريده ، القاهرة ١٣٦٧ / ١٩٤٧ .
المحبي (محب‌الدين محمد ، ت ١٧١٠/١١١١)
خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ، مصر ١٢٨٤ / ١٨٦٧ .
محمد كرد علي (١٣٧٣/١٩٥٣) .
الاسلام والحضارة العربية ، مصر ١٣٥٥/١٩٣٦ .
المسعودي (أبوالحسن علي بن الحسين الشافعي، ت٣٤٦/٩٥٦)
التنبيه والاشراف ، ليدن ١٨٩٣/١٣١١ .
مصطفى جواد .
الربط البغدادية واثرها في الثقافة الاسلامية ، مجلة سومر ، مديرية الآثار العامة (١٠ [١٩٥٤] ص ٢١٨ – ٢٤٩ ب ١١ [١٩٥٥] ص ١٨٨ – ٢٠٦) .
المقريزي (تقي‌الدين أحمد بن علي ، ت ١٤٤٢/٨٤٥) .
خطط المقريزي ، مصر ١٨٥٣/١٢٧٠ .
المكي (ابو طالب ت ٣٨٠ أو ٩٩٠/٣٩٠ أو ١٠٠٠) .
قوت القلوب ، القاهرة ١٣٥٢/١٩٣٣ .
المناوي (عبد الرؤوف ، ت ١٦٢١/١٠٣٠) .
الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية جـ ١ ، مصر ١٩٣٨ .
الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، ت ٥١٨ / ١١٢٤) الامثال ، مصر ١٣٥٢/١٩٣٣ .
ناجي معروف :
المدخل الى تاريخ الحضارة العربية ، بغداد .
نيكلسون (رينولد)
الصوفية في الاسلام ، ترجمة نورالدين شريبة ، القاهرة ١٩٥١ .
نيكلسون
في التصوف الاسلامي وتاريخه ، ترجمة د. ابي العلا عفيفي ، القاهرة ١٩٤٧ .
الهجويري (أبوالحسن علي بن عثمان الجلابي ، ت ١٠٧٦/٤٦٥)
كشف المحجوب ، لينينغراد ١٩٢٦ .
الواسطي (عبدالرحمن بن عبدالمحسن ، ت ١٣٧٣/٧٧٤) .
ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ والعارفين ، مصر ١٣٠٥ .
اليعقوبي (أحمد بن أبي اسحق ، ت ٢٩٢ / ٩٠٥) .
البلدان ، تحقيق جونبول ، ليدن ١٣١١ / ١٨٩٣ .

٢ ـ الكتب الافرنجية

Arberry, A.J :

1— Discourses of Rumi, London, 1961.

2— Sufism. London, 1950.

Asin, M :

Islam and the divine Comedy, London, 1926.

Birge, J.K :

The Bektashi order of Dervishes, London, 1937.

Browne, E.G :

Aliterary History of persia, Cambridge, 1928

Corbin, H :

L'Imagination Creatrice dans le Soufisme d' Ibn' Arabi, paris, 1958.

Field, C

Mystics and Saint of Islam, London, 1910.

Hughes :

Dictionary of Islam. London.

Littmann, E

Ahmed il-Bedawi, wiesbaden, 1950

Marcais, G

Not sur les ribats en Berberie in Melanges Rene Basset.

Nicholson, R.A.

The Idea of personality in sufism Cambridge, 1923.

Rice, C.

The persian, London, 1964.

Encyclopaedia of Religion and Ethics, London, 1931.